مجلة العلوم الإنسانية العربية
المجلد (٥) العدد (٢)
الإصدار السادس عشر
٢٠٢٤ (١٠-١)

التربية الفنية في زمن العولمة

دموش ليلة
طالبة دكتوراه (جامعة عبد الحميد مهري قسنطينة ٢)
أستاذة مساعدة " أ " (قسم الفلسفة جامعة محمد لمين دباغين سطيف ٢)

نشر إلكترونياً بتاريخ: ٢٥ مايو ٢٠٢٤م

This work is licensed under a Creative Commons Attribution-NonCommercial 4.0 International License.

الملخص

تسعى التربية الفنية إلى خلق شكل جديد من النشاط غير المألوف يكون فيه الفرد والطفل خاصة متمكنا من الخلق والابداع والتعبير بل يكون شخصية إيجابية في المجتمع، ولكن أزمة التربية الفنية في الوقت الحاضر تجعل هذه المهمة صعبة أو مستحيلة نتيجة للتأثير السلبي للتكنولوجيا على الفنون حيث جعلت من مادة التربية الفنية مجرد وسيلة للترفيه متجاهلة أهدافها ومنافعها الحقيقية في التعليم وتشجيع الأفراد على الاخلاق والتجديد.

سنحاول في هذا الموضوع أن نبين أهمية التربية الفنية وأثرها الإيجابي على السلوكات والمجتمعات وكيف يمكن مواجهة الذو ن الفني والثقافي الذي أفرزته العولمة خاصة على المجتمعات العربية.

الكلمات المفتاحية: الفن، التربية، العولمة، التكنولوجيا، الإبداع.

Abstract

Artistic education ains to create a menu activity that allows the child to create and express himself and be a positive persnality, but the crises of artistic education nowdays, maks it difficalt because the negative impact of technology, so how to face this problem in arabe society.

Keywords : Art ; Technology ; Education ; Mondialisation ;Creation.

*** مقدمة الدراسة**

لقد كانت التربية الفنية قديما مادة منعزلة لا يتعدى مفهومها التدريب على بعض المهارات الآلية، أما في الوقت الحاضر فقد أصبحت جزء مكملا لخبرة الفرد، بحيث تكون الخبرة الجمالية والفنية مناسبة للحاجات الواقعية للطفل، ولقدراته الذهنية والجسمية، وتساعد على نمو شخصيته بشكل سليم، ويكون موضوع الخبرة الجميلة التي تقدمها المدرسة تتعلق بوظيفة الفن كعمل تعبيري عن الحسن أو القبح.

إن التربية الفنية يجب أن تكون درسا إجبار في المؤسسات التربوية، وأن تكون الدروس مبرمجة وفقا لما يتعلق بحاجاته ومراحل نموه، إضافة إلى أن مهمة التربية الفنية هي تشجيع عملية التعبير الذاتي لتوجيه الأطفال نحو الأشياء الفنية، ونحو الارتفاع بذوقهم الفني بما يتساير وحاجات العصر.

لقد شهدت الانسانية في بداية العصر الحديث تحولات رزة في الحياة الفكرية والثقافية والعلمية، ومن ثم شملت قي مجالات الحياة، وهذا التحول الحاصل كان نتيجة لبروز العولمة على الساحة الدولية. فالعولمة أحدثت تحولات سريعة وتغيرات مختلفة جعلت الانسانية تتجه نحو الشمولية والاندماج، وهذا استدعى أن تتكيف كل الميادين مع ما أفرزته العولمة من تطورات جديدة، ومن بين هذه الميادين ميدان "التربية الفنية" حيث يدعو الكثير من الباحثين إلى ضرورة تحقيق نمو يتعادل والنمو الوجداني للإنسان، وذلك من خلال الاهتمام لفنون التي تساعد على غرس القيم العليا، والتقليل من التداعيات الخطيرة للعولمة، والآ ر السلبية للتكنولوجيا خاصة على الجانب التربوي، وعليه نطرح الاشكالية التالية:-

ما المقصود لتربية الفنية؟ وكيف أثرت التكنولوجيا على أساليب التربية وهل مكان الالتزام بقواعد التربية الفنية مواجهة العولمة والعالم التكنولوجي المتغير؟

*** التربية الفنية (ظهورها، تطورها وأهدافها):**

*** مجال التربية الفنية:**

يخلط الكثير من الناس بين الفن والتربية الفنية وذلك أن دارس الفن يتخصص في مفاهيمه وإشكالياته، وقد يتخصص في فرع من فروعه كالرسم، النحت، أو التصميم، أو العمارة، الغناء والرقص والشعر والكتابة ...في حين يتسع مجال التربية الفنية ليشمل جميع الأنشطة الفنية، وفروعها، وأصولها و ريخها، إضافة إلى الإلمام بعلم النفس وعلم التاريخ والاجتماع، وطرق التدريس، والمناهج التعليمية، والفلسفة وحتى اللغة.

ويمكن حصر ضرور ت التربية الفنية في أربع نقاط وهي:-

١- ريخ الفن History of Art

٢- النقد (الفني) Critisism of Art

٣- علم الجمال Esthétic

٤- الانتاج الفني Art production

وواضح أن هذه العناصر متداخلة ومتكاملة مع بعضها البعض، فلا نقد بدون انتاج، ولا نتاج بدون قيمة، ولا يصح النقد دون الالمام بعلم الجمال وعلم التاريخ، وعليه مكان كل الشرائح أن تجد ما يناسبها. وعليه تقسم التربية الفنية إلى فروع دقيقة وخاصة منها: فن الموهوبين المتفوقين وفن المتخلفين والمعاقين، الفن العلاجي، فنون تعليمية للأطفال، وفنون للمسنين والمسجونين... وفروع لا حصر لها.[١]

يرى الدكتور البسيوني أن التربية الفنية تتضمن الكثير من الأنشطة مثل: الفنون التشكيلية والمسرحية، والموسيقية، والتصوير الفوتوغرافي وغيرها، وتعتني في مجملها بناحيتين رئيسيتين هما: الممارسة والتذوق. وبهذا يمكن أن ندرس التربية الفنية المتعلقة بمجموعات مختارة كالموهوبين، الحساسين، المبدعين، كما يمكننا أن ندرسها كثقافة أساسية ضرورية لكل إنسان عادي مهما كان قدره من الموهبة.[٢]

*** التربية الفنية في خدمة الصناعة**

لقد حاول المؤسسون الأوائل لمجال التربية الفنية أن يقنعوا المسؤولين عن التعليم هميتها وضرورتها، وكان لابد من إيجاد مبررات قوية و بتة، واقعية مرتبطة بحياة الناس، وقد وجدوا هذا المبرر في ربطها لصناعة، إذ يقترح هؤلاء أهمية إمداد المصانع لمصممين والمبتكرين القادرين على خلق تصاميم وأوجه خاصة في الانتاج، تحمل أشكالا وألوا تستقطب اهتمام المستهلك، وتدفع لمنتوج للتسويق، وقد

عنت المدارس الانجليزية في أول تجربة بهذا الاقتراح وكان التركيز فيها على فرعي الرسم والتصميم، وانتشر بعدها في الولا ت المتحدة، حيث عمل بعض المتخصصين في الفن بتدريسه والدفاع عن أفكارهم تحت شروط وهي:

١- أن يستخدم المصممون المؤهلون في الصناعة.

٢- يتم إعداد الأفراد للعمل في مجال الانتاج الصناعي.

٣- يساهم المبدعون في الابتكار ورفع الدخل الوطني.

إلى جانب هذا هناك مدارس خاصة تدرس الفتيات لغرض آخر وهو أن يكن سيدات المجتمع المتحضرات، فكانت أسباب الاهتمام هنا لتربية الفنية لغا ت أخرى هي:

١- الدلالة على الثقافة والرقي.

٢- اكتساب مهارات يدوية تليق لسيدة المحترمة كالتلوين والرسم على الزجاج، والعزف والتطريز الفني.[٣]

*** التربية الفنية لمعرفة الطفل**

أما الاهتمام بتدريس الأطفال فبدأ مع علماء النفس في الثمانينات على يد "ستانلي هول" G.Stanley Hall (١٨٤٦- ١٩٢٤) الذي كان عالم نفس ومعلما رائدا في أمريكا، وقد ركز اهتمامه على النمو والنظرية التطورية، حيث كان رئيسا لرابطة علم النفس الأمريكية والرئيس الأول لجامعة كلارك، إذ صنف في المرتبة الثانية والسبعين (٧٢) لأكثر علماء النفس اقتباسا في القرن العشرين.

لقد اهتم بدراسة الطفل ومعرفة تطوره العقلي والجسدي على غرار دراسات يوهان هاينريش بستالوتزي Johann Heinrich Pestalozzi (١٧٤٦-١٨٢٧) المربي والمصلح التربوي السويسري هربرت ريد Herbert Read (١٨٩٣-١٩٦٨) المؤرخ، الشاعر والفيلسوف الاكليزي الذي كتب العديد من الكتب عن الفن، إلى جانب الألماني فريدريك فروبيل Friedirich Frobel (١٧٨٢-١٨٥٢) المؤسس الحقيقي لر ض الأطفال [٤]، الذين أكدوا أن للطفل احتياجات خاصة وفريدة، وهو مختلف عن الشخص الراشد.

وبفضل جهودهم لم يعد هناك إصرار على الأطفال أن يهتموا لفن الهندسي والتصاميم، ولم يعد الفن في خدمة الصناعة، بل تحررت إرادة الأطفال وأصبحت تشمل الاهتمام لمناظر الطبيعية والألوان، والأشكال المختلفة مستعملين ما يتقنونه من مواد خامة طينية أو خشبية وحتى ورقية، إلى أن ظهرت مجلات تهتم لتربية الفنية وأقيم أول معرض للأطفال بكولومبيا عام ١٨٩٣ م.[٥]

*** التربية الفنية من أجل التذوق:**

أدت دراسة الأطفال من طرف علماء النفس إلى نوع من التحرر في التوجه لتلاميذ من طرف معلميهم إلى نزع القيود والتوجه إلى الطبيعة، والتأمل، ومراجعة أعمال بعض الفنانين ودراستها، وقد لعبت الصورة دورا هاما في عملية التدريس، إذا كانت صور وأعمال فنانين كبار تعرض على الأطفال ليعيدوا مراحل تكوينها، مما يدربهم على الذوق الراقي، والتأثر لقيم الجمالية التي أهداها الفنانون السابقون للإنسانية، وكان الأطفال يشعرون بلذة وسعادة لا توصف، بل وأصبحوا يحددون مواقفهم وآراءهم، فيشعرون لشجاعة والانتماء والشفقة إزاء المظلومين فأصبحوا هم أنفسهم يعكسون قيم التربية السليمة والمعاني الأخلاقية التي تمشي جنبا إلى جنب مع القيم الجمالية.[٦]

*** التربية الفنية من أجل الانتاج الفني الجمالي:**

لقد ظهرت حركة الانتاج الفني كتطور طبيعي لمرحلة التذوق الفني وقد عمل البروفيسور آرثر ويزلي داو Arttur Wesly Dow (١٨٥٧-١٩٢٢) المصور والمدرس والرسام الأمريكي الأستاذ بجامعة كولومبيا على تحليل ودراسة الأسس الجمالية للأعمال الجيدة والانتاج المتقن، فوجد الجواب في أهمية التكوين الجيد الذي يشترط فيه ثلاث عناصر حددها كما يلي:

١- الاهتمام لخطوط الخارجية للأشياء المرسومة.
٢- اختيار الألوان التي تحتويها الرسومات بعناية وملاءمة.
٣-القيمة ويعني بها الضوء والعتمة.

ولتحقيق الانسجام في اللوحة الفنية يجب أن تتوفر على عنصر التضاد، الانتقال، الترابط، التتابع، التكرار والتماثل، وبهذه الشروط يمكن أن نحلل ونترجم أعمال التلاميذ ونساعدهم أن ينتجوا أعمالا فنية ويصلوا إلى الإبداع الحقيقي.

*** التربية الفنية من أجل الصحة العقلية**

في أواخر القرن الماضي جاب الفيلسوف الأمريكي جون ديوي John Dewey (١٨٥٩-١٩٥٢) المدارس فوجدها قاسية على الطفل، حيث يجلس الطفل على مقاعد بتة لا تتحرك، ومثل هذه الحالة اعتبرها ديوي مقيدة لحرية الطفل النفسية والبدنية، ولهذا يجب الاهتمام لطفل ككائن فعال في مجتمعه، لأن العالم عنده هو عالم خبرة وتفاعل داخل الكون، والخبرة التي يكتسبها الطفل والتي لها علاقة أيضا لحياة الداخلية والخارجية له، يكون لها دورا هاما في النق والإبداع، فالطفل يحاط بظروف خارجية تؤثر على خبراته وحياته، فإذا نشأ في بيئة مثقفة فإنه سيختلف عن طفل نشأ في بيئة غير مثقفة، لذلك لابد من جعل الظروف تتكيف وتتفاعل وطبيعة الطفل، وعن هذا يقول: " أين لا يوجد محيط أو مجتمع لا توجد حياة، لذلك علينا أن نعرفه وندخل فيه ونحاول فهمه وندخل في علاقة تبادل معه ".[٧]

لهذا ينقذ الأساليب التقليدية في التربية ويهدف إلى أن يكون الماضي لنسبة للطفل دافعا نحو العمل والنجاح في المستقبل، وهذا معناه اتخاذ العمل بحرية سواء عقلية أو جسدية يساعد الطفل على الفهم والتمحيص والتفسير، وأن يتربى بصلابة تغطي النقص الموجود وتساعده على تحقيق تجارب لها قيمة.

لهذا يحث ديوي على جعل المدارس وسطا يعيش فيه الأطفال حقيقة، ويكتسبون خبرة ويجدون فيها ابتهاجا ومعنى، أي أن تصبح المدارس مصانع لتدريب الأطفال على إقامة تجارب والاستفادة من أخطاء هذه التجارب، بل يذهب ديوي أبعد من ذلك إذ يجعل من أسلوب التربية السليم المبني على الخبرة الفنية عملية هامة في النمو العقلي والخلقي للطفل، ويعتبرها ذات فائدة اجتماعية، فكلما تعلم الطفل سالبب سليمة كانت المعرفة التي يحصل عليها فريدة من نوعها، أصلية عميقة الأثر في نفسه.[٨]

وعليه مكان الأطفال أن ينمو ذكاءهم وقدراتهم العقلية ويتعاملوا مع مشكلاتهم القريبة بحكمة وروية دون التعرض للأذى، وينبغي النظر إلى الطفل ككل غير متجزأ، وأن نمكنه أن يعبر عن طريق الفنون عن ذاته، دون أن نتدخل في توجهاته واختياراته، وأن نركز على نقطة مهمة وهي فك أسر الطاقة الإبداعية لدى التلاميذ.[٩]

*** أهداف التربية الفنية**

تهدف التربية الفنية الجمالية إلى:-

١- إطلاع الجيل الحاضر على ريخ الثقافة والإبداع والفنون الجميلة عبر العصور.
٢- تدوين الفكر الجمالي والنظر ت الجمالية الفنية، والاهتمام لآراء والملاحظات الفردية والجماعية.
٣- إبراز جمال الأعمال، وعبقرية الفنان، وتنمية الذوق والحس الجمالي لدى طبقات المجتمع وتناقلها عبر الأجيال.
٤- إعداد فنانين مبدعين، ومتذوقين أصليين، ومربين رعين، ونقاد.
٥- الاسهام في تكوين شخصيات سوية لبناء مستقبل جميل.[١٠]

كما تهدف التربية الفنية إلى تنمية الشخصية بشكل عام، وتهيئة عوالم فنية تمكنها من التفكير والعمل والانتاج، بحيث تنمي القدرات العقلية والجسمية، وتنفس عن الأفراد المشكلات التي يصعب حلها.[١١]

ومن أهداف التربية الفنية أيضا نجد غرس روح الخيال والابتكار عند الأفراد، مع استغلال أوقات فراغهم في الأشياء المفيدة (كالرسم، الموسيقى ...)، إضافة إلى تدريبهم على استغلال الأدوات البسيطة لإنتاج روائع فنية، وهذا يمكنهم من التعبير بحرية عن أفكارهم، وتكوين اتجاهات سلوكية صحيحة، مع اكتساب معارف واسعة وتحقيق التميز في المجتمعات.(١٢)

*** التربية الفنية والعالم التكنولوجي المتغير**

يشهد العالم المعاصر مجموعة من التغيرات السريعة التي لها أثرا رزا ومباشرا على حياة الإنسان ككل، وعلى حياة الدارس والطفل بشكل خاص. وقد أخذت تعطر للفكر التربوي اهتمامات جديدة وإشكاليات أفقدت الإنسان توازنه وجعلته يبحث عن أساليب جديدة ليتماشى مع كل جديد، شأنه في ذلك كالتربية الفنية التي تواجه صعو ت في طرق الأداء والتعليم، بين ضرورة اتباع الأساليب التقليدية أو الخضوع للتصنيع، وحتى موضوع التربية الفنية أصبح صعب التحديد، نظرا لقلق الإنسان وعدم استقراره، فكل شيء يتحرك بسرعة، وينمو بسرعة وينتهي بسرعة، أما عن أسلوب تشكيل الصورة أو المنحوتة، أو الشعر أو أي شيء في العمل الفني أصبح غير موجود، لأن الأشكال كلها متداخلة ومتغيرة، فهي تبدو في وقت مجسمة، وفي آخر مسطحة، وفي موضع غيره هندسية، أو غير هندسية، تفاصيل واضحة في بعضها، ولكن عند الآخرين تبدو كلية، قد تبدو مبسطة الخطوط، معقدة في زاوية أخرى، وهذا كله يدل على أن الأسلوب في التربية الفنية لا يمكن تحديده، فهو بلا شكل ومن دون استقرار.

ويمكن الحديث هنا أيضا عن الأدوات التي نستخدمها في الفن، ففي الفن التقليدي يعتمد الفنان على أدوات بسيطة، كالفرشاة والورق في فن الرسم، والألوان المائية أو الخشبية، بينما في الفن الحديث والمعاصر لا تستخدم هذه الأدوات مطلقا، وأصبحت الآلات تحل مكان الأداة والصانع معا. وعليه يجب أن يستعمل المدرس لمادة التربية الفنية آلات ووسائل حديثة تساير التطور الذي عرفه العالم التكنولوجي.(١٣)

ولم يسلم مجال التذوق الفني الجمالي من ثقل التطور التكنولوجي، فقد أصبح ملحا أن نقدم الأعمال الفنية، والخبرات الإبداعية بطرق جديدة، وعلى المدرس أو العارض الذي يؤدي هذه المهمة أن يكون بحوزته أدوات، ووسائل عرض جديدة تسهل نقل وعرض الأعمال الفنية في أي زمان وفي أي مكان، وعليه على التربية الفنية والقائمين على شؤونها أن يسايروا التغير الذي أحدثته الثورة التكنولوجية، والاختراعات المتعددة التي تملأ الأسواق. لقد أصبحنا كلنا معنيون بفهم مضامين الحياة العلمية والتكنولوجية، لنتذوق أشكال منتجاتها الجديدة من جهة، وأن نبحث عن الحقيقة في زحمة عالم الآلة، التي جعلت الإنسان يعيش فراغا قاتلا، دون أن يستثمر وقته، وأن نعوض هذا الفراغ بتكوين ميول روحية، وجدانية لمزاولة الفن والاستمتاع به، وتطبيق رسائله الأصيلة في الحياة للارتقاء بحياة سعيدة تساير مستجدات العصر، وأن نعطي الحرية وفرص الابتكار لمستحقيها لينال كل مبدع نصيبه من النجاح، وينال كل متذوق فرصته من المتعة والاعجاب(١٤)، ولا يمكننا أن ننكر أبدا أن التقدم التكنولوجي ساعد على ربط الفن لحياة اليومية وسهل سبل هذا الترابط، فلم تعد الفنون حكرا على طبقة معينة، بل أصبحت متاحة للجماهير على اختلاف انتماءاتهم واهتماماتهم، لأن الثورة الرقمية بسطت ثيرها على الصورة، الصوت، النص ليتوحد المهندس، الباحث، الكاتب والفنان ضمن نظام مشترك، وأصبحت الفنون متصلة لسر ن العام للبرمجيات، ورؤية قابلة للكشف، ولكنها في الوقت نفسه وهمية لا يمكن لمسها، ولكن نكتشفها بنقرة أصبع على جهاز الحاسوب، وعليه يدخل الفن هنا المختبرات بدلا من ورشات

الفنانين ليتشارك في المنتوج الفني المهندس، المصمم، الأديب، الآلات نواعها في زخم لا حصر له، ولذا لابد من الحذر من تكنولوجية كهذه، فقد يختلط بها الواقع لخيال، والتفكير لوهم.

*** أثر العولمة على التربية الفنية وسياسة مواجهتها**

تحمل ظاهرة العولمة من حيث هي ضاغطة على المجتمعات المغيبة، عناصر التأقلم والاندماج مع الشكل الخاص للحداثة، وذلك وراء مؤسسات تعمل وفق منهج سياسي دعائي على أنها تحرص على القيم الإنسانية، والديمقراطية، والتربية والبنى الاجتماعية، وفي الحقيقة تكون هذه المؤسسات خاضعة لسيطرة العقلانية الأدائية، والتكنولوجيا، و لتالي تنشط هذه الأخيرة وفق نظام سلطوي يعمل على تغييب القيم، وتذويب بعض الدول من خلال الاختراق الثقافي واستعمار العقول، واحتواء الخبرات، وهذا من شأنه أن يساهم في خلق ثقافة جديدة تحتوي على مجموعة من القيم والعادات والتلاقح والتمازج بين مختلف الثقافات، ومن ثمة الترويج للثقافة العالمية الواحدة ومنه سيطرة الثقافة الأقوى على الثقافات الأخرى، وتعميمها في جميع أنحاء العالم، فالعولمة على حد قول أولريش بيك: " فالعولمة تخلق للثقافات المحلية مسارح وهمية على امتداد العالم"(١٥)

إن الثقافة تصبح سلعة عالمية تسوق كأي سلعة تجارية أخرى بواسطة وسائل الإعلام، المذ ع والتلفاز، ومواقع التواصل المختلفة، فينتج عن هذا ما يعرف لتبعية الثقافية لمجتمعات كملها فيعود التسلط الذي كانت تمارسه الامبراطورية في شكلها الاستعماري القديم على الشعوب، بفرق وهو تعويض السلاح الآلي بسلاح العقل الذي تحول إلى آلة حربية مدمرة، وعلى حد تعبير ماركيوز: "إن العقل هو السلطة الهدامة في معادلة (العقل- الحقيقة — الواقع) التي تجمع العالم الذاتي والعالم الموضوعي في وحدة متناحرة، فهو يمثل بوصفه عقلا نظر وعقلا عمليا في آن واحد "سلطة النفي" التي تقرر الحقيقة لنسبة للبشر والأشياء، أي تقرر الشروط التي يمكن للبشر والأشياء أن يصبحوا ما هم كائنون عليه فعلا "(١٦). من هنا يتضح منطق العولمة الذي يعتمد على التقنية من أجل خلق مجتمع مغلق، وقد سعت شركات الترويج والإعلان مريكا كمؤسسة "ولت ديزني" - كأكبر مؤسسة منتجة لمواد الأطفال في العالم — إلى وضع خيارات وطرق تعبير فنية فريدة، فأصبحت تغزو العالم كله(١٧). ومن هنا أصبح من الواجب على المجتمعات الواقعة تحت سطوة الهيمنة والاستغلال من استعادة مكانتها وذاتها، وإعلان رفضها للعقل النافذ إلى المؤسسات والمدن وحتى الأفراد، والذي يبني عالما لا أخلاقيا في تعامله مع الآخرين والاهتمام لأسرة " أهم المصانع الاجتماعية التي تنتج الوجدان الثقافي الوطني، بواسطة شبكة من القيم توزعها من خلال التربية على سائر أفرادها، وتلقنهم إ ها، بوصفها الآداب العامة الواجب احترامها"(١٨)

إن الأسرة أصابها فشل التراجع عن دية مهامها التربوية المبنية على القيم الهادفة، وخرجت عن مسارها لتنتج لنا "طفولة مسلحة" —كما في بعض الدول الافريقية والعربية — أو طفولة عنف كما هو الحال في أماكن عديدة من العالم كالاعتداءات المسلحة والجنسية، السرقة، المخدرات والجنسية المثلية...)، أما المدرسة فقد تحولت — تحت ضغوط كثيرة اجتماعية، سياسية واقتصادية — إلى هياكل تخلو من مناهج تربوية تساعد على تحقيق امكانية الخلاص. وكل الخطر هنا يكمن في فقر البرامج التعليمية والتكوينية، وقصورها عن قضاء الحوائج المعرفية والعلمية للمتمدرس، وقد أدى هذا إلى تخرج أشباه متعلمين، لا يمكن الاستفادة من امكا ته المتواضعة في مجتمع يطاله التغير في كل لحظة وبسرعة(١٩)، أما عن أثر العولمة على الشعوب العربية عامة يتحدث "فهمي هويدي" عن الجانب السلبي للبث التلفزيوني مستشهدا بتونس حيث قال: "خرج الاستعمار الفرنسي من شوارع تونس عام

١٩٥٦، ولكنه رجع إليها عام ١٩٨٩، ولم يرجع إلى الأسواق فقط، ولكنه رجع ليشاركنا السكن في بيوتنا، والخلوة في غرفتنا، والمبيت في أسرة نومنا، رجع ليقضي على الدين واللغة والأخلاق، كان يقيم بيننا لكره، ولكنه رجع لنستقبله لحب والترحاب... إنه الاستعمار الجديد، استعمار القلوب والخطر للمهدد للشباب والشا ت، الكهول والعفيفات، الآ ء والأمهات".[٢٠]

إن المجتمعات العربية وحتى غيرها تواجه خطر تهديد الخصوصية الثقافية لها، والتفاوت الظاهر بين النمو الوجداني الانفعالي للإنسان والنمو التكنولوجي، حيث يشهد الإبداع والذوق ضعفا كبيرا و خرا مقارنة لتقدم التكنولوجي الذي أنهك كاهل الفنان وعمل المربي، ولكما سيطرت التكنولوجيا على الحياة الإنسانية وضعت حدودا منيعة أمام قدرات الأفراد وهو تهم.

*** تحديات لمواجهة خطر العولمة**

إن خطورة العولمة تستدعي يقظة كبيرة، ووضع إجراءات لمضاعفة الجهود لمواجهتها وذلك من خلال إبراز مخاطرها للأفراد والجماعة، ونشر الوعي هدافها ومقاصد الرأسمالية[٢١]، وهذه المسؤولية تقع على كاهل كل مفكر، مثقف، عالم، فنان مكانه إبلا غ القصد هذا من جهة، ومن جهة أخرى تقوية الموروث الثقافي لكل شعب من خلال تنمية الأذواق، وإحياء قواعد الفن الأصيل وإرسال قواعد التربية السليمة، وغرس مفاهيم الثقافة، وتقدير الذات والإيجابية. مع تسطير برامج تعليمية هادفة، والاهتمام لتربية الفنية ووضع طرق جديدة تساير العصر، دون الذو ن الثقافي والاجتماعي في الآخر. وهذا يستلزم فهم الإطار المرجعي لتقييم أسس ومفاهيم وسلوكيات العولمة. ويؤكد عبد القادر تومي: " نحن كأمة إسلامية لا نستطيع أن نكون إطارا مرجعيا بعيدا عن ثقافتنا وخصوصيتنا وقيمنا الإسلامية "[٢٢] ولهذا من الضروري أخذ الحيطة من خطر الذو ن في الآخر لأن " الأمة التي تحافظ على ثقافتها وهويتها ولا تغلق عيونها عما ينتجه الآخرين لن تنهزم "[٢٣]

وما دام لكل دولة سيادتها وثقافتها التي هي مجموعة من الجوانب الخاصة مثل: اللغة، الدين والعادات، والتقاليد، والأعراف، والفنون وكلها تمثل الهوية كينونتها، فالجدير بها أن تحافظ على جوهر هذا الوجود وروحها الحضارية، وإلا فهي ليست جديرة لبقاء، ولن تجد من سف عنها[٢٤] وعليه فالأفلام، والعروض السينمائية، والأغاني، والأز ء، والصور التي تقدمها القنوات التلفزيونية تؤثر بلا شك على الأفراد، وعليه لابد من جعلها خادمة لهم ومربية لأبنائها، كي يصمدوا أمام الغزو الثقافي المتواصل المخالف لعناصر الثقافة المحلية، وعليه كل ما تقدمه وسائل الإعلام الأجنبية للشخص المشاهد المتلقي من معطيات ثقافية، من أشرطة، صور، أحداث، شعارات لوحات، تقوده إلى عالم غير عالمه، مما يستفزه في مرجعيته ومرتكزاته الثقافية، خراج أزمات الهوية التي أصبحت اليوم من أكثر المسائل التي تواجه الشعوب. لقد فكرة تسليع الثقافة في الحياة الغربية عند فلاسفة مدرسة فرانكفورت، وعلى رأسهم " تيودور أدورنو" وماكس هوركهايمر واعتبراها سليلة المجتمع الرأسمالي، وما يخدمها من وسائل إعلام خادعة للجماهير، محاولة إلحاق الفن عموما لدائرة الاستهلاكية وإدماجه كسلعة فاقدة لخاصيته واستقلاليته، فأطلقا مصطلح "صناعة الثقافة أو التنوير بوصفه خداعا جماهر "[٢٥] كعنوان لكتابهما المشترك، وقد ذكر فيه أنه يحق للصناعة الثقافية أن تتباهى كونها أمنت تحول الفن بشكل لا مهارة فيه إلى دائرة الاستهلاك[٢٦]، لذلك دعا إلى تحرير الوعي عن طريق تحرير إرادة الفنان وأعمال المبدعين، وإحياء التراث الفني الجاد، الذي هو قوة تحرر وأداة مقاومة لأنه يملك قوة النفاذ إلى أعماق الوجدان الفردي والجمعي، فيقوم عادة انتاج عالم حر، وجديد لا سيطرة فيه ولا قمع، عالم منظم وفق الرؤية الجمالية، وعلى حد تعبير ماركيوز " إن الفن لا يستطيع أن

يغير العالم، لكنه يستطيع الاسهام في تغيير وعي وغرائز الناس، الرجال والنساء الذين يمكن لهم أن يغيروا العالم"[٢٧]

فمن خلال كتاب ماركيوز " البعد الجمالي " نلاحظ مسعاه لإبراز الطابع الثوري للفن، ومحاولة استحضار الامكا ت الجمالية للتحرر بما هو عملية تصعيد استطيقية، فمن خلال الفن يعيد الإنسان ربط علاقته لعالم. ووسط العالم المقيت المظلم يعيد الفن عالما جديدا يسوده الهدوء والسكينة. وهذا ما أكده " شيلر " بقوله: " في قلب مملكة القوى الرهينة المقيتة، وفي قلب مملكة القوانين المقدسة الجليلة، تبني القوة الجمالية المبدعة مملكة لثة للعب في صورة ظاهرة تلفها البهجة ويعمها الانشراح "[٢٨] لهذا يجب الاهتمام بفئة الأطفال والشباب في المجتمعات، لأنها القوة الرافضة للروح الاستهلاكية السائدة، وهي المؤهلة لتغيير الوضع والمعول عليها لإحداث قفزات نوعية، وهي القادرة على إضعاف قبضة الاندماج في العالم التكنولوجي التقني، والكشف على الايديولوجيا الزائفة، كما أن هذه الفئة سريعة الاستجابة للقيم الجمالية، و مكانهم استرجاع مكانتها التي تم طمسها، وإظهار زيف العالم وما يقدمه من قيم مادية تجارية تحول الإنسان إلى كائن ذو بعد واحد لا يعرف سوى الاستهلاك. وكل هذا على حساب حريته وسعادته، وعلى حساب القيم الجمالية الأصلية، ومبادئ الحرية المستلبة، فالإنسان قد أفرغ حقا من محتواه وأصبح من غير فاعلية، بل مستعبد على حد تعبير ماركيوز " إن عبدة الحضارة الصناعية المتقدمة هم عبيد متسامون لكنهم يبقون عبيدا، لأن العبودية لا تتحدد لطاعة أو بقوة الكدح ولكنها لإنسان المحول إلى شيء "[٢٩]، ولكن تحرير الوعي ليس لأمر الهين، لأنه يقتضي القضاء على أسباب السيطرة والقمع، بما فيها الأوضاع السياسية والاقتصادية، إلا أن هذا أيضا غير كاف، لأن مثل هذا العمل يقتضي وجود أ س قادرين فيزيولوجيا وسيكولوجيا لتجاوز نطاق الفهر، وإقامة حضارة إنسانية غير قمعية، ولا يشترط التنازل عن المنجزات والمكتسبات العلمية والتكنولوجية التي حققتها المجتمعات المتقدمة صناعيا، لأن المجتمع المتحرر يفترض وجود مستوى عال من التقدم العلمي والتكنولوجي، للتخلص من العمل الشاق، وتوجيه هذا التقدم نحو الغا ت التي يمكن أن يحقق من خلالها الإنسان حريته وسعادته.[٣٠]

*** خاتمة**

ومما سبق نخلص إلى أن الفن قوة، فعالة مكانه إعادة توجيه مسار القوى الجامحة، والامكا ت المعطلة، و مكانه المساهمة في عملية البناء الفردي والاجتماعي وتحرير الروح، وتهذيب الذات، وعليه من الإلزام ألا يقتصر مفهوم التربية الفنية المعاصرة على مجال التعليم وحسب، بل يجب أن يشمل مجالات علم النفس، وعلم الاجتماع، وطبقات المكفوفين والمتوحدين، والمرضى النفسانيين والعصابيين، والمدمنين...، كما مكان التربية الفنية أن تساهم في السلام العالمي من خلال تربية النشأ على عدم التعصب، وغرس القيم الإنسانية ومبادئ التسامح، والعيش مع الآخرين بسلام " فيتحرر — صاحب الوعي الجمالي — من أحادية النظر التي تعيق عملية التقدم، وتغلق طريق التبادل والحوار الإنساني على أرض يملؤها الاحترام والفهم والتسامح والتقدير"[٣١] وإذا كانت العولمة اليوم تروج لقيم أخلاقية غريبة عن القيم الإنسانية الحقة وأعطت بهذه القيم الدخيلة المبرر لسيادة مبادئها والسيطرة على العالم، فإن التربية الفنية تساهم في جعل الأجيال ترتقي لإنسانية نفسها، وبقيمها المختلفة إلى الصفاء التام، والبعد عن الاستغلال المادي، والاستهلاك اللاعقلاني للسلع والمنتجات التي لا تمت للقيم الأخلاقية والإنسانية ية صلة.

ومن الواضح أن العولمة ليست إلا دعاية مزورة اتخذتها القوى الكبرى وسيلة للهيمنة على الشعوب المستضعفة، وأنها أحد أشكال الاستعمار الذي ترك الأساليب القديمة، وجدد وسائل أخرة للسيطرة، وليست أهداف العولمة

أن تسود في العالم ثقافة إنسانية تناسب كل الناس، وتعمل على تعاونهم وتطورهم، والاستفادة من خبرات بعضهم، وإنما إبراز التفوق الغربي، وعدم التسامح، وترويج ثقافة الاستهلاك، لما تنتجه الرأسمالية الغربية، وإشاعة الثقافة الإ حية في المجتمعات المحافظة على الدين والأخلاق، وعليه يعتبر كشف خطر العولمة يجعل الإنسان على بصيرة بما يحدث، فيعمل جاهدا للحفاظ على كيانه وهويته الثقافية، ويوسع دائرة الإبداع والقيم التي تبث المبادئ الراشدة ويجعلها بعيدة عن التنميط والتبعية، وشراك العولمة.

* **المراجع:**

١- عبد المجيد فضل، ١٤١٦ ه، **التربية الفنية (مداخلها، تاريخها، فلسفتها)**، دط مطابع جامعة الملك سعود، الر ض، ص ١٠.

٢- محمود البسيوني، ١٩٨٥، **قضايا التربية الفنية**، ط١، عالم الكتب للنشر، القاهرة، مصر ص٢٠٩.

٣- عبد المجيد فضل، المرجع نفسه، ص١٥.

٤- الرجوع إلى الموقع الإلكتروني https://AR.M.**Wikipedia**.org

٥- عبد المجيد فضل، المرجع نفسه، ص ١٨.

٦- المرجع نفسه، ص١٩.

٧- John Dewey, **Expérience et Education**, traduit par : M. ACAROI, Edition Boureter, Paris, P :٧.

٨- جون ديوي، ١٩٧٨، **المدرسة والمجتمع**، ط٢، ترجمة أحمد حسن الرحيم، منشورات دار مكتبة الحياة لمشاركة مع مؤسسة فرانكلن، بيروت، بغداد، ص٧١.

٩- جون ديوي، **مدارس المستقبل**، د.ط، ترجمة عبد الفتاح المنياوي، دار الاتحاد العربي للطباعة، ص ١١٣.

١٠- عبد الرحيم عوض أبو الهيجاء، ٢٠٠٨، **القيم الجمالية والتربية**، ط١، دار فا، عمان الأردن، ص ١٨٤.

١١- محمود البسيوني، ١٩٩٣، **أسس التربية الفنية**، ط٦، عالم الكتب للنشر، القاهرة، ص ٣٢٠.

١٢- عبد الرحيم عوض أبو الهيجاء، مرجع سابق ص ١٨٥.

١٣- محمود البسيوني، **أسس التربية الفنية**، ص ٨٢.

١٤- فتح الباب عبد الحليم، ١٩٨٣، **البحث في الفن والتربية الفنية**، جامعة حلوان، القاهرة، ص ٤٥.

١٥- أولريش بيك، ٢٠١٢، **ماهي العولمة؟**، ط٢، ترجمة أبو العيد دودو، منشورات الجمل بيروت، لبنان، ص ٤٦.

١٦- هربرت ماركيوز، ١٩٨٨، **الانسان ذو البعد الواحد**، ط٣، ترجمة جورج طرابيشي، دار الآداب، بيروت، ص ٦٨.

١٧- المرجع نفسه ص ٦٩.

١٨- عبد بلقزيز، **العرب والعولمة**، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ص ٣١١.

١٩- المرجع نفسه.

٢٠- فهمي هويدي، ١٩٨٩، **مقال نشر عن جريدة الأهرام في ١٩٨٩/٠٦/٢٧.**

٢١- صالح الرقب، ٢٠٠٣، **العولمة**، ط١، الجامعة الإسلامية، ص١٢.

٢٢- عبد القادر تومي، ٢٠٠٩، **العولمة (فلسفتها، مظاهرها، تأثيراتها)**، د.ط، مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع، الجزائر، ص ١٩٧.

٢٣- حسين جمعة، ٢٠٠٥، **العرب اليوم بين الواقع والطموح**، د.ط، دراسة عن منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ص ٧٥.

٢٤- عزت السيد أحمد، ٢٠٠٠، **انهيار مزاعم العولمة (قراءة في تواصل الحضارات وصراعها)**، منشورات اتحاد الكتاب العرب، ص ٥.

٢٥– عبد القادر تومي، **العولمة**، مرجع سابق ١٤١.

٢٦– ماكس هوركهايمر وثيودور أدورنو، ٢٠٠٦، **جدل التنوير**، ط١، ترجمة جورج كتورة، دار الكتاب الجديد، ص ١٥٨.

٢٧– هربرت ماركيوز، ١٩٧٩، **البعد الجمالي نحو النظرية الجمالية الماركسية**، ط١، ترجمة جورج طرابيشي، دار الطليعة، بيروت، ص ٤٥.

٢٨– فريدريك سيلر، ١٩٩١، **رسائل في التربية الجمالية للإنسان**، د.ط، ترجمة وفاء ابراهيم (الهيئة المصرية العامة للكتاب)، مصر، ص ٢٩٣.

٢٩– هربرت ماركيوز، ١٩٨٨، **الانسان ذو البعد الواحد**، مرجع سابق ص ٦٨.

٣٠– كمال بومنير، ٢٠١٠، **جدل العقلانية (في النظرية النقدية لمدرسة فرانكفورت)**، ط١ منشورات الاختلاف، والدار العربية للعلوم شرون، الجزائر، بيروت، ص ٢١٥.

٣١– جودي حسين، ١٩٩٧، **طرق تدريس الفنون**، د.ط، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، ص ٢٠.